المقاربة الآنية والمقاربة الزمانية وأثرهما في بنية النص القاموسي

تطبيق على قاموس "لاروس اللغة الفرنسية : لكسيس"

سميرة هيبة

المعهد العالي للّغات

جامعة قرطاج - تونس

الملخّـص

عرفت القاموسية الفرنسية في القرن العشرين ثلاثة اتجاهات في التأليف القاموسي : الأول طبقت فيه المقاربة الزمانية أو الدياكرونية (approche diachronique) التي تقوم على ربط الظاهرة اللسانية بعوامل تستمد من تاريخ اللغة لتفسيرها، والثاني طبقت فيه المقاربة الآنية أو السنكرونية (approche synchronique) التي تنزل الظاهرة اللسانية الموصوفة تنزيلا آنيا خالصا لا يعتمد فيه على ما مضى من تاريخ اللغة. على أن القاموسية الفرنسية قد عرفت اتجاها ثالثا يوفّق بين الاتجاهين الآني والزماني ويأخذ بعض العناصر في التأليف القاموسيّ منهما معا، ويمكن تسميته "الاتجاه الآني الزماني"، والقاموس المثل لهذا الاتجاه هو "لاروس اللغة الفرنسية : لكسيس" (Le Larousse de la langue française : Lexis) الصادر عن مؤسسة لاروس تحت إشراف جان دوبوا أيضا. وما يهمنا في مداخلتنا هو دراسة أثر هذه المقاربة التوفيقية في بنية النص القاموسي كما تظهر في قاموس "لكسيس". وهذا الاتجاه الثالث كما يظهر في "لكسيس" يأخذ من الاتجاه الأول مبادئ التأصيل والتأريخ وتوزيع المعاني الفرعية المتولدة عن المعنى الرئيسي الواحد على شبكة مرقمة: كما يأخذ من الاتجاه الثاني مبدأ التفريق فيوزع الاستعمالات الأساسية للمفردة الواحدة على مدخلين أو أكثر باعتبارها من المشترك اللفظي، لكنه يورد تحت كل مدخل مشتقاته. وقد أثّر هذا التوفيق بين الاتجاهين في بنية النص القاموسي لأنها أصبحت بنية معقدة متشعّبة بعد أن كانت بسيطةً في القواميس السابقة.

وظاهرة التعقيد هي التي تعنينا في بحثنا بدراسة العناصر المكوّنة للبنية الشكلية والبنية الدلالية في التعريف.

Résumé

La lexicographie française a connu au cours du XXème siècle deux grands courants dictionnairiques : un courant basé sur l'application de l'approche diachronique qui prend en considération les aspects relatifs au «passé historique» de l'unité lexicale constituant l'entrée principale, et un autre courant basé sur l'application de l'approche synchronique qui rejette les aspects historiques et ne considère dans le traitement de l'unité lexicale que son usage actuel. Cependant, la lexicographie française a connu à la fin des années soixante - dix du siècle dernier un troisième courant, basé sur une sorte de conciliation entre les deux autres courants en adoptant quelques aspects de chacun des deux, et appliqué dans le «Larousse de la langue française : Lexis » composé sous la direction de J. Dubois (Larousse, 1979). C'est ce troisième courant, que nous qualifions de « synchro - diachronique », et son rôle dans la structuration de l'article du dictionnaire, qui font l'objet d'étude dans notre communication. D'après Lexis, ce courant prend, en effet, de l'approche synchronique le principe de «dégroupement» en distribuant les principaux emplois de la même unité lexicale sur deux ou plusieurs entrées lexicales en les considérant comme « homonymes », mais il mentionne sous chaque entrée ses dérivés. De l'approche diachronique, il adopte les principes d'étymologie, de datation et de distribution des différentes significations dérivées d'une même signification principale sur un réseau d'entrées secondaires numérotées, et considérées comme des polysèmes. Cette tendance à la conciliation entre les deux approches et les deux courants a eu une grande influence sur la structure de l'article du dictionnaire devenue complexe après avoir été simple dans les dictionnaires classiques.

Abstract

French lexicography has experienced during the twentieth century, two main lexicographical trends: one based on the application of the diachronic approach that takes into account aspects related to the "past history" of the lexical unit constituting the main entry, and another based on the application of the synchronic approach that rejects the historical aspects and considers in the treatment of the lexical unit only its current use. Yet, French lexicography has experienced in the late seventies of the last century a third stream, based on a kind of a conciliation between the two trends by adopting some aspects of each, and applied in the "Larousse de la langue française: Lexis", composed under the direction of J. Dubois (Larousse, 1979). It is this third trend, which we qualify as "synchro-diachronic", and its role in structuring the dictionary article, which is the subject of our study. According to Lexis, this trend takes, indeed, from the synchronic approach the principle of "unbundling" by distributing the main uses of the same lexical unit of two or more lexical entries regarding them as "homonyms", but he mentions under each entry its derivatives. It adopts from the diachronic approach the principles of etymology, dating and distribution of the different meanings derived from the same primary meaning of a network of secondary entries numbered, and considered as polysemes. This tendency to reconcile the two approaches and the two trends had a great influence on the structure of the dictionary article becoming complex after being simple in traditional dictionaries.

تقديم

قد عرَفت القاموسيّةُ الغربية تطوّرا كبيرا نتيجة ارتباطها بالنظريّات اللسَانية الحديثة وخاصة بعلمي الصرف المعجمي والدلالة المعجمية، وكان من أهمّ مظاهر ذلك التطوّر إخضاعُ التأليف القامُوسيّ في البلاد الأوروبية -وخاصة في فرنسا وفي إنجلترا- لإحْدى المقاربتين اللسانيتين اللتين شاعتَا في وصف الظواهر اللسانية، وهما المقاربة الزمانية أو الدياكرونية (approche diachronique) التي تقوم على ربط الظاهرة اللسانية بعوامل تُسْتَمَدُّ من تاريخ اللغة لتفسيرها، والمقاربة الآنية أو السنكرونية (approche synchronique) التي تُنَزّل الظاهرة اللسانية الموصوفة تنزيلا آنيًّا خالصا لا يَخرُج عن الفتْرة الزمنيّة التي ظَهرَ فيها الإنتاجُ اللغويّ المَوْصُوفُ ولا يُعْتَمَدُ فيه على ما مَضى من تَاريخ اللغة.

وقد كان لهاتين المقاربتَيْن تأثيرا كبيرا في تصوّر بنية النصّ القاموسي وفي العناصر المكوّنة لها. ويَلْمَس الدارسُ ذلك جليا في تأليف بعض القواميس الفرنسيّة والإنجليزية التي اتبَع مؤلفُوها إحدى المقاربتين. وقد عُنِيَ اللسَانيون الفرنسيّون بها عناية كبيرةً حتى أنّ منهم من أصبح يتحدّث عن وجُود اتجاهين فرنسيّين -أو نَزْعتين (tendances) حسبَ عبارة جاكلين بيكوش[1] (Jacqueline Picoche)- في التأليف القاموسي، أوّلهما هو "الاتّجَاهُ الآني" والغالبُ عليه "التفْريقُ" (dégroupement) بين المداخل المعجمية المشتَركة دلاليًّا لأنه يعاملها معاملة "المشتركات اللفظية" (homonymes) التي يُفْتَرَضُ أن تَشترك في التّلفّظ بها لكنها تختلف -إضافةً إلى المغْزى المعْجمي أو المعْنَى- إمّا في الانتماء المقُولي، وإمّا في الأصْل الاشتقاقي، وإما فيهما معا. والاتجاهُ الثاني هو "الاتّجاه الزّماني"، والغالبُ عليه "التجْميعُ" (regroupement) بين المداخل المعْجمَية المشتركة لأنه يعاملها إذا اقتضت معالجتُها ذلك مُعاملةَ "المشترَكَاتِ الدّلالية" (polysèmes). وقد سبقَ اللسانيّان الفرنسيّان "جان دوبوا" (Jean Dubois) و"كلود دوبوا" (Claude Dubois) "جاكلين بيكوش" إلى

الاهتمام بالظاهرتين القاموسيّتَيْن وربطاهما بالاشتراك اللفْظيّ (homonymie) والاشْتِراك الدّلاليّ (polysémie) وسميَاهُما "تَصوّريْن" (conceptions) في مُعاملة "اللفْظ" (mot) أو المفْرَدة -أي المدْخَل- في القامُوس[2]، وأطلقا على التصوّر الأول "التصوّر المشْتَرَكيّ اللفْظيّ" (conception homonymique) وأطلقَا على التّصوّر الثاني "التصوّر المشْتركيّ الدّلاليّ" (conception polysémique).

وقد حَدّدا الفَرْقَ بين التصوّرين تَحْديدًا جيّدا بقوْلهما : «عندما يكون المدْخلان المختلفان دَلاليّا مُتفقيْن خَطّيًّا (identiques graphiquement) نقُول إنهما مُشْتَركَان لفْظيّان (homonymes)؛ وعندما يَشْتمِلُ المدخلُ الواحِد على مَعَانٍ مختلفَة نقولُ إنه مُشْتَرَكٌ دَلاَليّ (polysémique). وليسَت المسألة ببسَاطة مسْألةَ وَضعيّة مُختلفة في الرّسم، بل هي مَسْألة تَصوّريْن لـ"المفْردة" -أو اللفْظ (mot)- منفصليْن تماما.

فاللفْظُ حسب التّصوّر الأوّل يُعتَبرُ "وَحْدة خِطابيّة" (unité du discours) يُحدّدها السياق [الذي تَردُ فيه] من حيث وضعُها وتوزيعُها فيه؛ وهو في التّصوّر الثاني "وَحْدة لسَانيّة" (unité de la langue) تَنْجَرّ عن إنجازاتها في الخطاب تنوّعَاتٌ (variations) في المعنى حسب السياقات [التي ترد فيها]»[3].

وقد بيّنَا الفرقَ بين النوْعيْن من "الوَحْدةِ المعْجميّة المدْخَلِ" أو "المفْردة" وأثرَ ذلك في ما يكون للمفردة من الغمُوض في القامُوس :

«لا يُوجَد في الحالة الأولى لفْظ يمثل وحدةً بالمفهوم الدقيق، بل توجد فقط مُفرداتٌ متجانسة كتابيّا (homographes) (بالنسبة إلى القاموس) أو هي مُشْتركةٌ لفظيّا (homonymes) (إذا أخذنا بالتسمية الأكثرِ استعمَالاً)؛ وتُوجد في الحالة الثانية وَحدة أساسية، نَواةٌ سِمِيّةٌ (noyau sémique) لا تتغيّر في الزّمن ولها قِيَمٌ استعْماليّةٌ (valeurs d'emploi). وينْتج عن هذا أن يُوافقَ كلُّ مدْخَلٍ في التصوّرِ المشْتَرَكيّ اللفْظيّ مُنَاقلَةٌ (paraphrase) وَاحدة (...) وتكون المفرداتُ غيْرَ غَامضَة (ambigus)؛ وأمّا في التّصَوّرِ المشْتَرَكيّ الدّلاَليّ فإن المدْخَلَ هو المفردةُ المكتُوبة المعرَّفَةُ بمجموعة من

المناقلات ذات سِمَات (traits) مُشْتَرَكَة لها تَغيّراتٌ (changements) قابلةٌ للتفسير تَاريخيًا أو مَنْطقيًا، وتكون المفْردَاتُ في هذه الحالة غَامِضَةً»[4].

ويهمّنا من قول اللسانيَّيْن الفرنسيَّين أمْرانِ : الأولُ يتعلّق بصلة التصورين المشتركيّ اللفظيّ والمشترَكيّ الدلاليّ بالمقاربتيْن الآنيّة السنكرونية والزّمَانيّة الدياكرونيّة؛ والثاني يتعلّق بأثر المقاربتين الآنية والزمانية في بنية النص القاموسِي. فأمّا بالنسبة إلى الأمْر الأوّل فإنّ الحالة الأولى التي أشَار إليها اللسانيان الفرنسيّان -وهي حالة التصوّر المشْتَركيّ اللفْظي- تربط المفردةَ التي تكون مدخَلاً بالمقاربة الآنية، لأنها تُعَامَل على أنها وَحْدَةٌ معجمية منتمية إلى خطاب منجز آنيا، وهي حاملة لمعنًى يستخلصُه المستعملُ من السّياق الذي وردت فيه المفردة، ولا يتطلّبُ ذلك من القاموسيّ الذي يصف الاستعمالَ اللغوي أن يبحثَ عن معنى للمفردة خارج ما يفيدُه السياق الذي وردت فيه، كأن يستعينَ بمعرفة العلاقة بين معناها المستخلَص من السياق ومعناها في أصل استعمالها في مرحلة سابقة من تاريخ اللغة، أو أن يَرْجِع بها إلى أصْلٍ اشتقاقيٍّ قديم قد تفرّعت عنه ويمكن أن يُفيدَ الرجوعُ إليه في توضيح معناها.

وأما الحالة الثانية التي أشَارا إليها -وهي حالةُ التّصوّر المشْتَرَكيّ الدّلاليّ- فتربط المفردة التي تكون مدخَلاً بالمقاربة الزمانية لأنّها تُعَامَلُ على أنها وَحْدَةٌ معجمية منتمية إلى اللغة قبل أن تنتمي إلى الخطاب وإلى السياق الذي ترد فيه أثناء استعمالها في ذلك الخطاب، وهي تَكُونُ بذلك ذاتَ انتماءٍ إلى عائلة اشتقاقية صَرْفية - يَهْتمُّ بها عادَةً عِلمُ التأصيل المعْجمي (étymologie lexicale)- يُفتَرَضُ أن تَشْتَرِكَ معها في بعض خصائصها الصرفية والتصريفية والدلالية؛ ثم هي ذات دلالة لم تُولَدْ في الآن الذي استُعْمِلَتْ فيه في الخطاب بل هي ذات امتدادٍ في تاريخ اللغة قد جعل منها إحدى الدّلالات التي ارتَبطتْ بها عَبرَ تاريخ استعمالها، وهي لذلك لا تُفْهَمُ في القاموس فهْمًا جَيّدًا إلاّ بربْطها بمحيطها الدلالي التّاريخي ضمْن مجموعة الدلالات الأخْرى التي أسنِدَتْ إلى المفردة المدخل.

1. في أثر المقاربتين الآنيّة والزّمانيّة في النّص القامُوسي

ولهذا الأثر صلةٌ بالأمر الثاني الذي يَهُمّنا من قوْل جان وكلود دوبْوا المتعلّق ببنْية النصّ القامُوسيّ. فالمفردة المدْخل في التّصوّر المشْترَكيّ اللفْظيّ -أي في المقارَبة الآنية- تتطلّبُ "مُنَاقَلَةً" واحدة أي شَرْحًا واحدًا أو ذكرَ مَعْنًى وَاحِدٍ لها هو المعنى الذي يُسْتَخْلَصُ لها من السّياق أثنَاءَ الاسْتِعْمال؛ وأما بقيّة المعاني التي تحملُهَا فيَخُصّهَا مُؤلّفُ القاموس بمداخلَ أخْرى تَرِدُ فيها المفْرَدَةُ نَفْسُها مُكرّرةً وكأنها ليسَتْ ذاتَ علاقة اشتقاقيّة ببقيّة المداخل التي وردَت فيها بمعانيها الأخْرى، وهذا النّوْعُ من المعَالجة القاموسيّة القائمة على الفصْل بين معاني المفْردة الواحدة بذكرها في مَداخِلَ مستقِلّة هو الذي يُسَمّى "التفْريق" (dégroupement).

على أن مؤلّفَ القاموس يُقَلّلُ منْ قوّة هذا التفْريق القَسْريّ بين المعَاني المتآخيَة بأرْقَام مُتَتَابعَة تحمِلها المداخِلُ المتتاليةُ للمفْردة الواحِدة، والناتجُ عن هذه المعامَلة للمفردَات المداخلِ هو أن يَصْغُرَ حَجْمُ النصّ القامُوسيّ لاقتصارِ مُؤلّفِ القامُوس فيه على معْنًى واحدٍ للمفردَة وتخلّصه من بَعض أرْكَان التعْريف، مثل "التأصِيل المعْجَمِي" و"العَلاقَات الدّلاليّة" و"الاسْتعْمَالات الخَاصّة" للمفردة.

وأما في التّصوّر المشْترَكِي الدّلاليّ -أي في المقَارَبة الزّمَانيّة- فإنّ المفردة تتطلّبُ "مُنَاقَلات" أي شُروحًا أو تَفاسيرَ بحسَب المعَاني التي أسندَتها إليها الجماعةُ اللغويةُ عبْر تاريخ اسْتِعْمَالها، وهذا التعدّدُ للشّروح أو الـ"مُنَاقَلاَت" هو الذي يُؤدّي إلى التوسّع في النّصّ القامُوسِي لأنّ مؤلّفَ القاموس يَقُومُ -بعكْس ما يقُومُ به من تَفْريقٍ بين المعَاني في المقاربة السابقة- بعمليّة تَجْميع (regroupement) بينها تحتَ مَدْخَلٍ واحِدٍ يكُونُ مُفْرَدةً واحِدة قد تَعدّدَتْ معانيها عبْر التاريخ، وهذه المعاني هي التي تُذْكَرُ تَحْتَ المدْخلِ الواحِد وتُكَوّنُ مُختلفَ الشّروح أو المنَاقَلاتِ التي تَرِدُ في النصّ القَامُوسِيّ مُتتَابعةً إمّا حسَب رؤيَة تَاريخية تطوريّة بتتبّع المسَارِ الزّمَنيّ لظهور المعَاني، وإمّا حسَب رُؤيَة منطقيّة بتتبّع ما بيْن المعَاني من تَدرّج من المعْنى الحسّيّ إلى المعْنى المجرّدِ أو من المعْنَى الحقيقيّ إلى المعْنى المجَازيّ.

وقد اشتَهرَ بتمثيل هذين الاتجاهيْن في القاموسيّة الفرنسيّة الحديثة قاموسَان : الأوّل قد طُبِّقَتْ فيه المقاربَةُ الآنيّة وهو "قاموسُ الفرنسيّة المعَاصِرة" (Dictionnaire du français contemporain) الذي صدرَ عن مؤسّسَة "لارُوس" (Larousse) القاموسيّة بإشْراف "جان دوبْوا"؛ والثاني قد طبِّقَت فيه المقاربة الزمانيّة وهو قامُوس "روبَار الصغير" (Le Petit Robert) الذي صدر عن مؤسّسَة "روبار" (Robert) القاموسية تحت إشراف "ألان راي" (Alain Rey)، وهو في الحقيقة قاموس وسيطٌ وليس هو بالقاموس الصغير لا في حجمه ولا في المادة التي اشتمل عليها.

والفرق الأسَاسيّ بين القاموسيْن في التعامل مع الوحَدات المعجميّة المداخل هو أن الاتّجاهَ الأوّل في القامُوس الأوّل -أي في لاروس- يُعامل الوحداتِ المعجميّة المكوّنة لمداخل القاموس باعتبارها "وحَداتِ خطابٍ" تُنْجَزُ آنيّا لتأدية وظيفةٍ معيَّنَةٍ في الخطاب؛ وأمّا الاتجاهُ الثّاني فيعامِلُ الوحداتِ المعجميّةَ نفسَها باعتبارها "وَحداتٍ لسانيّةً" مُنْتَمِيَةً إلى اللغة لها قابليَّةُ أن تُسْتعْمَلَ في الخطاب.

وقد سَبَقَ لنا أن اعتنَيْنا بهذا المسْتوى من تطبيق المقاربتَيْن في القاموسَيْن المذكوريْن في بحْث لنَا سابق[5]، ولذلك فإننا نريدُ أن نَهْتَمَّ في هذا البحث بأثر المقاربتَيْن في بنْيَة النصّ القامُوسِيّ ولكنْ من زاوية نَظرٍ ثَالثَةٍ تُحَاوِلُ التّوفِيقَ بين المقَارَبَتَيْن باتِّبَاع مقاربَةٍ تمثّل اتِّجَاهًا ثالثًا في التأليف القاموسي يمكنُ تسميتُه "الاتجاهَ الآنيَّ الزّمَانِيّ"، وتسميةُ المقاربة التي يمثّلها لذلك "المقاربةَ الآنيّة الزّمانيّة"، وإن كانت الوسيلةُ اللسَانيّةُ التي سَمَحَتْ بالتّوفِيقِ بين الاتجاهَيْن أو المقاربتَيْن كما سنَرى وسيلةً صَرْفيةً هي الاشْتقَاقُ؛ وقد كان لهذا الاتجاه أثرٌ في قامُوس فرنْسيّ آخرَ قد طبّقَ فيه نُريدُ أن نهتمَّ به في الفَقْرَةِ التّاليَة من هذا البحث، هو "لارُوس اللغَة الفرنسيّة : لكْسِيس"[6] (Larousse de la langue française : Lexis).

2. أثر "المقاربة الآنيّة الزمَانيّة" في بنْيَة النّص القَامُوسيّ في "لَكْسِيس"

صَدَرَ هذا القاموسُ عن مؤسّسَة لاروس أيضا سنة 1979 تحت إشراف جان دوبوا الذي رأينا أنه قد أشرف أيضا على تأليف "قَاموس الفرنسية المعاصرة" (Dictionnaire du français contemporain).

وقد تصدّرت القاموسَ مُقدّمةٌ قصيرةٌ في سبْع صفحَات[7] تشتمل على تقديم عامّ وأربعَة عناصر، وأهمّ ما تحدّث عنه المؤلّفون في التقديم العامّ هو غايتُهم من تأليف القاموس، وهي غايةٌ ترْبويّة تعليميّة (intention didactique) بالأسَاس؛ ثم تحدّثوا في العنصر الأوّل عن "المعْجَم المُستَقْرَإ" (lexique recensé) فبيّنوا نزعتَهم إلى التوسّع في تدوين المادة القاموسية إذ اشتمل القاموس على 76000 مفردةً وذكروا أنواع المفردات التي اسْتَقْرَؤوهَا ودَوَّنُوها في قاموسهم وكوّنت ما يُسمّى بالمستويَات اللغويّة (niveaux de langue)، وهي عندهم "ألفاظ اللغة العامّة العاديّة" (vocabulaire courant)، و"مصطلحات العلوم والفنون" (vocabulaire des sciences et des techniques)، و"العباراتُ والتراكيبُ المتكلّسَة" (locutions et syntagmes figés)؛ والفرنسية "الكلاسيكية والأدبية" (français classique et littéraire)، و"المولّدات" (néologismes)، و"الفرنسيّة الهامشيّة" (français marginal) -وتشمل الاستعمالاتِ العاميّة الفرنسيّة والاستعمالات الخاصة للفرنسية خارجَ حدودِ فرنسا أي فرنسية كندا وبلجيكا وسويسرا- دون أن يُهْملُوا الإشَارَة أيضا إلى ما سمّوه "عناصر التكوين" (éléments de formation) أي العناصر الصرفية الاشتقاقية التي تُستعْمل في صوْغ المفْردات الجديدة، ويَعْنُون بها "السّوابِق" (préfixes) و"اللواحِقَ" (suffixes) الاشتقاقيّة؛ ثم خَصّصوا العنصرَ الثاني للحديث في فقرة مهمّة عن "تقديم المعجم" (présentation du lexique) -وهم يفرّقون فيما يبدو بين مفهومَيْ "مُعْجَم" (lexique) و"قامُوس" (dictionnaire) إذ صدّرُوا هذه الفقرة بفكرة توحي بربطهم النظريّ بين القامُوس ونظرية المعجم، فقد بدؤوا الفقرةَ بقولهم «إن أيّ قامُوس هو تقديمٌ بطريقة مّا في الترتيب لمعجم اللغة»، لكنّنا نضيف أن هذا "التقديم"

يكون دائمًا جزئيا لأن أيّ قاموس لا يمكن له أن يستوعبَ كلّ ما يشتملُ عليه مُعجَمُ اللغة- وقد تعرّضوا في هذه الفقرة "للمنهج المتّبع في التأليف" و"الترتيبِ بحَسَب التّجْميعَاتِ والتّفْرِيقَات" (ordre des regroupements et des dégroupements) بين "المفردات في المداخل، والإحالاتِ» (renvois)؛ ثم خصّصُوا العنصر الثالث للحديث في فقرة مهمة أيضا عن "بنية النص القاموسي" (structure de l'article) قد حدَّدوا فيها العناصرَ الأساسية المكوّنة لبنْيَة النصّ في القاموس؛ وأما العنصر الرابع ففي الحديث عما سموه "القاموس النحويّ" (dictionnaire grammatical) وهم يعنون به مجموعة المفاهيم النحويّة -أو المعجمية التي اعتبروها نحوية- التي خصّوها بقسْم مستقلّ في آخرِ القامُوس وأدرجُوها متتابعةً ألفبائيًّا[8] مثل "نَبْرَةٌ" (accent) و"تَطَابُقٌ" (accord) -وقد توسّعوا في الحديث عن التّطابُق في مَقولة الصّفة والتّطابُق في مَقُولة الفِعْل- و"صِفَةٌ" (adjectif) و"ظرْفٌ" (adverbe)، إلخ، وفي هذا "القَامُوسِ النحْويّ" يُوجَدُ "تَصْرِيفُ الأفْعال" تحتَ مدْخَلِ "تَصَارِيف" (conjugaisons) في الجمع[9].

وما يعنينا من هذه العناصر الأربعة عنصران، هما العنصرُ الثاني الذي خُصص للتعريف بتأليف القامُوس، والعنصرُ الثّالث الذي خُصّص للتّعْريف ببنيَة النّصّ القاموسِي. فقد بيّن المؤلفُون في العنصر الثاني لجوءهم في التأليف إلى عمليتي "التجْميع والتفريق" اللتيْن يفْرضهما في نظرهم تخصيصُ نَصّ قَامُوسيّ (article) لكلّ وَحْدَة دلالية مُنسَجمة أو متناسِقَة (unité sémantique cohérente) : «الهدف الذي حدّدناه لأنفسنا هو أن نُقدّم في كلّ نَصّ قاموسيّ وَحْدَةً دلالية متناسقة؛ وقد ارتأينا من أجْل الوصول إلى هذه النتيجة أن نقوم بإجراء عَمليّتيْن متكاملتَين تكامُلا متينا : هما التجميع والتفريق»[10]. وقد مكّنتهما العمليّة الأولى من أنْ يجمَعُوا حولَ المفردة المدْخَلِ الوَاحِدَة التي تَتَصَدّرُ النصَّ القاموسيَّ مختلفَ المشْتقّات (dérivés) والمرَكّبات (composés) التي ترتبط بها دلاليّا.

ويمكن أن نَضرِبَ علَى هذه العمَليّة المثالَ الذي أورَدهُ المؤلفُون أنفسُهم للتّمْثيل لها في القامُوس، وهو الصّفَة «GRAND» -كذا بحروف التاج (en majuscules) على طريقتهم في كتابة المداخل-[11]، وهو من المداخل المتوسّطة

الحجْم، ومن المُفـردات التي اسْتقَلّت بمدْخَل واحـد فلم تعامل معاملة "المشترك اللفظي». وقد اشتمل النص القاموسي -نتيجةَ إجراء هذه العملية- على ثلاثة أقْسام :

- **قسم أول :** يحملُ الرقم الروماني I قد ذُكِرتْ فيه معاني الصفة «GRAND» إذا استعملت وليس لها «قيمة تأكيديّة مخْصُوصة» (sans valeur spécialement intensive)، وقد أسندت إليها في هذا القسم سبْعةُ معانٍ مرقّمة بأرقام عربيّة من 1 إلى 7.

- **والقسْمُ الثاني :** يحملُ الرّقْمَ الرّومَانيَّ II وقد ذُكِرَتْ فيه مَعاني المفْردة إذا اسْتعْملَتْ وهي ذاتُ قيمة تأكيديّة (avec valeur intensive)، وهذا القسم في الحقيقة يعتبر معقّدا لأنه مشتملٌ على ثلاثة عناصرَ : الأوّل يتلُو الرّقْمَ الرومَانيّ مباشرةً وقد استعملت فيه «GRAND» صفةً وأسندت إليها سبعةُ معانٍ مُرقَّمة من 1 إلى 7 أيضا ؛ والعنصرُ الثاني لا يحمل رقمًا خاصّا يميّزه بلْ عَوَّضَ الرّقْمَ فيه شَكْلٌ مُعَيَّن (losange) ♦ -وهو رمزٌ يسبق المداخلَ الفرعيّةَ عندهم عادةً- وقد ذُكِرَ فيه اسْتعمَالاَن لـ«GRAND» إذا كانَتْ اسْمًا (كذا)، وقد أسندت إلى الاستعمال الأول ثلاثة مَعان تحمل أرقامًا عربيّة، وأسندت إلى الاستعمال الثاني أربعة معان مرقمة بأرقام عَربيّة أيْضا؛ وأما العنصر الثالث فيشتمل على المداخل الفرعية التي تُبْنى باستعمال المفردة المدْخلِ إما في مقُولة غيرِ مقُولتَي الصّفة والاسْم، وإمّا في مشتقّات منها اسميةٍ ووَصفيّةٍ وفعليّةٍ، وإمّا في مُركّبَاتٍ تتألّفُ انطلاقًا منها، وقد كُتِبَت هذه المداخلُ الفرعية بحرف غليظ عـادي (en minuscules gras) لكنها ليست بحروف التاج مثل المداخل الرئيسيّة، وعددُ هذه المداخل الفرعيّة ستةَ عشرَ (16) يمكن توزيعُها كما يلي، دون مُراعاة لتوزيع المؤلفين :

(أ)- ما ليس مُشتقـا :

- مقولة الظرف : grand في مثل قوْلهم «Grand ouvert» و«Voir grand»، وقد أسْنِدَ إليه معنيَان.

(ب)- المداخلُ المشتقّة :

- مقولة الظرف : grandement، وقد أسند إليه معنيان.
- مقولة الاسْم : وتشتمل على أرْبَعَة مَداخل، هي (1) grandeur، وقد أسند إليه أحد عشر معنًى؛ (2) grandissement، وله معنيان؛ (3) agrandissement، وله معنى واحد؛ (4) agrandisseur، وله معنى واحد.
- مقولة الصفة : وتشتمل على أربعة مداخل، هي (1) grandelet, ette وفيه معنى واحد؛ (2) grandet, ette وفيه معنى واحد؛ (3) grandissime وفيه معنى واحد؛ (4) grandissant وفيه معنى واحد أيضا.
- مقولة الفعل : وتشتمل على أربعة أفعال، هما في الحقيقة فعلان قد استعْمِلا في صيغتهما العادية وفي صيغة الضّميريّة (pronominal)، والمداخل هي (1) grandir وفيه أربعة معان؛ (2) se grandir وفيه معنيان ؛ (3) agrandir وفيه معنيان؛ (4) s'agrandir وفيه معنى واحد.

(ج)- المداخلُ المركّبة :

وهما مدخلان : (1) grand-chose ، وقد ورد في استعمالين : (أ) باعتباره ضميرًا غير محدّد (pronom indéfini)، وله معنى واحد؛ (ب) باعتباره اسما مبنيّا، وله معنى واحد؛ (2) super-grand، وقد عُدّ اسْما في حالة التذكير (nom masculin)، وقد أسند إليه معنى واحد.

والقسم الثالث من النص القاموسي مخصّصٌ للاستعمال الكلاسيكيّ للمفردة المدْخَل وقد اشتمل على مدخلين : (1) صفة هي grand وقد أسند إليها معنى واحدٌ لكن دون ذكْر شاهد كلاسيكيّ على استعمالها؛ و(2) اسم هو grandeur وقد ذُكِرَ له معنيَان قدٍ صاحَبَ أولَهما شَاهدٌ من سيفينيي (Sévigné)، وصاحبَ ثانيَهُما شاهدٌ من لافونتان (La Fontaine).

ويُلاحَظُ من المثال المتقدّم أن عمليّة "التجْميع" لم تقم على تطبيق التصوّر المشترَكي الدلاليّ تطبيقا صارمًا كما تقتضيه المقاربَة الزمانيّة، فقد ظهرَ

أثرُ ذلك في تجميع معاني المداخل الفرعية مثل معاني الصفة "grand" في القسمين الأوّل والثّاني من النّصّ القاموسي، ومعاني الاسْم "grandeur"، لكنّ ذلك الأثرَ لم يظهر في تجميع المشتقّات الاسميّة والوصفيّة والفعليّة التي دُوّنـتْ وشُـرِحَـت باعتبارها مداخلَ فرعيّة بل هي قد جُمّعتْ تحتَ المدْخل الرئيسيّ نتيجةَ الصّلاتِ الاشتقاقية التي تربطه بها، وبذلك يصبح للمقاربة الاشتقاقية دورٌ في عملية التجْميع أيضا.

فأمّا العمليّة الثانية -أي التفريقُ- فقد طبِّقت للفصل إمّا بين استعمالاتِ الوَحدَة المعجميّة الواحدة التي تعدّدت معانيها في اللغَة لكنّ تلك المعاني قد تباعدَت عن بعْضها في الاسْتعمَال تباعُدًا يجْعلُ من الصّعْب -في نظر المؤلّفين والآخِذين مثلَهم بالمقاربَة الآنيّة في التّعامُل مع المعَاني والتّصوّر المشْترَكي اللفْظي في التّعامل مع مداخل القَاموس- إرْجاعَها إلى دلالة مرْكزية واحدة قد تولّدتْ عنها دلالاتٌ فرعيّة؛ وإمّا بين مشترَكَاتٍ لفظية حقيقيّة قد تماثلت في لفظها في مُستوى الكتَابة لكنها اختلفت إمّا في انتمائها المقولي وإمّا في أصْلها الاشتقاقي، إضافة إلى اختلافها في الدلالة. وقد ظهرَ التفريقُ إذن في تقْسيم المدخَل الرئيسيّ الواحِد -الذي نجده في القواميس التي تُطبَّقُ فيها المقاربةُ الزّمَانيّة في النّظر إلى دلالات المفْردَات ويُتّبَعُ فيها التصوّرُ المشترَكيُّ الدلاليّ في التعامل مع مداخل القاموس- إلى مداخلَ منفصلة متتابعَة حَاملة لأرْقام، وقد تَتَعدّدُ المداخلُ التي تُعامَلُ معامَلة المشترَكاتِ اللفظيّة فتبلغُ الثلاثةَ مَداخلَ -وهذا كثيرُ التّواتُر في القَامُوس- ومن أمثلتها الصفةُ[12] ABSOLU [1-2-3] والاسمُ[13] [ACCORD 1-2-3] والفعلُ[14] [ACCROCHER 1-2-3]. وتبلغ المداخلُ أربعة أيضا ومن أمثلتها الاسمُ[15] [TEMPS 1-2-3-4] والفعلُ[16] [VENIR 1-2-3-4]، وتبلغُ ستّة ومثالها الاسمُ[17] [VOILE 1-2-3-4-5-6]، والفِعْلُ والصِّفةُ معًا[18] [TENDRE 1-2-3-4-5-6]، وقد اسْتعملت المفردةُ فعْلاً في المداخِلِ (1) و(2) و(3)، واستعْملتْ صفةً في المداخل (4) و(5) و(6)؛ لكنّ مداخلَ المفْردة الواحدة قد تتعدّدُ فتبلغُ التسعة رغم أنها منتميةٌ إلى مقُولة معْجمية واحدة وإلى أصلٍ اشتقاقي واحد، ومثالها الفعلُ[19] [TIRER 1-2-3-4-5-6-7-8-9].

وقد كان لعمليتي التجْميع والتّفْريق المعتمدتيْن في تأليف القاموس أثرُهما في بنية النص القاموسيّ فيه. وقد نبّه المؤلّفون أنفسُهم في العنصر الثّالث من مقدمتهم -وقد خصّصوه لبنية النص القاموسي- إلى أن «النّص القاموسيّ في لكسيس يمكن أن يأخُذ أشكالاً مختلفة، تتراوحُ بين عدد قليلٍ من الأسطر إلى عددٍ كبير من الأعْمِدة»[20]، وهذا الاختلاف يمكن تبريره نتيجة تنوّع المستويات اللغوية التي تنتمي إليها المفرداتُ المدونةُ في القامُوس، وكلّما كانت المفردةُ من ألفَاظ اللغَة العامّة التي تكثُر في الاستعْمال وتتعدّدُ لذلك معانيها يكون حجْمُ النص القاموسي المخصّص لها كبيرا.

ولكنّ تعدّدَ المعاني المسندة إلى المفردة المدخَل الواحدة ليسَ السببَ الوحيدَ لطول نصّ قاموسيّ مّا وقِصَرِ نصّ آخر، فإنّ لعددِ المشتقّاتِ والمركّباتِ المرتبطة بالمفردة المدخَل أثرا حاسما في طولِ النصّ القاموسيّ أو قِصَره. وإذا تغَاضيْنَا عن هذين السببَيْن نجد أن المؤلفين حَريصُون على إثباتِ جملةٍ من المعْلومات اللسَانية تُصاحبُ كلَّ مدْخل رئيسيّ، وقد تُصاحبُ المداخلَ الفرعيّةَ من المشْتقّات. وهذه المعْلوماتُ التي تُذْكَرُ بانتظام ضمْنَ المداخِل هي التي تُكوّنُ العناصرَ الأساسيّةَ في النصّ القاموسي، وعددُ هذه العناصر كما حدّدَها المؤلّفون ستّةٌ قابلة للتجْزئة[21]، هي :

(1)- الكتابةُ الصوتيّة : وهي تتلو المدْخَل الرئيسيّ والمداخلَ الفرعيّة المتصلة به إما بالاشتقاق وإما بالترْكيب.

(2)- المعلوماتُ التاريخية (informations historiques) : وهي تتلو أيضا المداخلَ الرئيسيّة لكنّها لا تُصاحبُ بالضرورة المداخلَ الفرعيّة، وتشمَل هذه المعلوماتُ (أ) التأصيلَ المعجمِيّ (étymologie) بذكر أصْلِ المفردة المدخل الذي قد يكون أصْلا فرنسيّا إذا كانت العلاقة بين المدْخل والأصْل علاقةً اشتقاقية، وقد يكون أصْلاً لاتينيّا أو يونانيّا إذا كانت المفْردة منتقلة إلى الفرنسيّة من إحدى هاتين اللغتين، وقد يكون من لغة أجنَبية إذا كانت العَلاقة بين المفْردة والأصْل علاقةً افتراضية؛ (ب) التأريخُ (datation)

لأوّل ظهورٍ للمفردة في نصّ من نُصوصِ الفرنسية المكتوبَة منذ بداياتها في القرن العاشر الميلادي.

(3)- التعريفُ (définition)، والمقصودُ به هو «الشّرْح» أو «التفْسيرُ» لأنه يَحتَوي المعنى الواحد المرقّمَ من المعاني التي تحمِلها المفردةُ المعرَّفة، أي «المناقَلةَ» التي تُصاغ بها دلالةُ المفْردة في الاستعمال المقصُود بالشّرْح.

(4)- الأمثلةُ (exemples)، وهي نوْعان : أمثلةٌ مَوضُوعَة أو مَسْمُوعة لأنها غير منْسُوبة إلى قائل أو إلى مؤلّف، وأمثلةٌ قائمةٌ على شواهدَ (citations) حقيقيّةٍ لأنها منسوبةٌ إلى أعلام بعينهم من الكُتّاب الفرنسيّين، مقتبسةٌ من نُصوصهم، لكنّ المؤلفين قد راعَوْا في هذه الشواهد القِدَم والحداثة، فإنّ ألفاظَ اللغة العامّة المنتمية إلى الفرنسيّة الحديثة يُسْتَشْهَدُ عليها بشواهِدَ من الكتابات الفرنسية الحديثة؛ وأمّا ما سماه المؤلّفون بالفرنسية الكلاسيكيّة والأدبيّة فقد استشهدوا لها بشواهدَ من النصُوص الفرنسيّة الكلاسيكية.

(5)- المرادفاتُ والأضدادُ (synonymes et contraires)، وهي من العلاقاتِ الدلالية بين المفردات. على أنّ ذكر هذا العلاقاتِ ليس مُطرِدا مع جميع المداخل سواءٌ كانت رئيسيّةً أم كانت فرعيّة.

(6)- معلومَات رَسْمية ونحويّة (renseignements orthographiques et grammaticaux) حوْلَ المفردة، وأهمّها المعلومَات المتعلّقَة بجمُوع الوحدات المعجميّة الاسميّة خاصة وبتصريفِ الأفعال.

خاتمة

يمثل قاموسُ "لكسيس" تجربةً في التأليف القاموسيّ الفرنسيّ قد أرادَ لها مؤلفوه أن تكون وسَطًا بين التّجْربة القَامُوسية التي تستمِدّ مبادئَها النظريّة من المقاربة الآنيّة التي تنظر إلى اللغة في حاضِرها الرّاهِن من خلال استعمَال النّاس الآنيّ لها، والتجْربَة القَاموسيّة التي تستمِدّ مبادئها النظريّة

من المقاربة الزمانيّة التي تعتمد تاريخَ اللغة لتفسيرِ ظواهرِها التي تُلاحَظُ في الاستعمالات الحديثة، على أن مؤلفي القامُوس قد أكّدوا اللجوءَ إلى تاريخ اللغة بتخصيصهم في جُلّ مداخله قسمًا للفرنسية الكلاسيكيّة.

فكان هذا القاموسُ لذلك واصِلا بين ماضي اللغة الفرنسيّة وحاضرِها، وكان اعتمادُ مؤلّفيه على التصوّر المشترَكيّ اللفظيّ في عملية "التفريق" بين استعمالات المفردة الواحدة إذا تباعدتْ مَعانيها في مداخل منفصلة، وعلى التصوّر المشترَكيّ الدلاليّ في عملية «التجميع» -وخاصة باللجوء إلى المقاربة الاشتقاقية- اعتمادا مبرَّرًا نظريًا. وقد كان لذلك كله آثارُه في بنية النصّ القاموسيّ الذي تعدّدتْ عنَاصرُه لا محالةَ لكنها كادَت تَتسَاوَى في جلّ المداخل، لكنّ النصوصَ نفسَها غيرُ متساويةٍ نتيجة تعدّدِ مُشتقّاتِ بعضِ المداخل وقلّتِها بالنسّبة إلى بَعضٍ آخر.

الإحالات

1- ينظر :

Jacqueline Picoche, 1977. Précis de lexicologie française. Paris: éd. F. Nathan. p. 71, 76 .

2- Jean et Claude Dubois, 1971. Introduction à la lexicographie: le dictionnaire. Paris: Larousse. pp. 68 - 83.

3- المرجع نفسه، ص 67.

4- المرجع نفسه، ص ص 67 ـ 68، والمقصود بـ "المناقلة" أن يُنَقَل المعنى الكامن أو المُتَضَمَّن في المفردة المدخل إلى "نصّ" أو "نقال" (énoncé) يشرحه، ويمكن ترجمة (paraphrase) بـ "شرح" أو "تفسير" هنا لكنهما مفردتان شديدتا التعميم، لذلك اخترنا "مناقلة" - ينظر حول المصطلح : رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، بيروت: دار العلم للملايين، 1990، ص 358.

5- سميرة هيبة، الاشتراك اللفظي والاشتراك الدلالي بين المقاربة الزمانية والمقاربة الآنية في علم الدلالة وفي التأليف القاموسي، بحث مقدم في ندوة "الدلالة" بكلية الآداب بمنوبة، نوفمبر 2010 (بصدد النشر).

6- Lexis: Larousse de la langue française. Sous la direction de Jean Dubois. Paris: Librairie Larousse. 1979.

7- Ibid. pp.VI - XII .

8- المرجع نفسه، ص ص 2048 - 2119.

9- المرجع نفسه، ص ص 2060 - 2070.

10- المرجع نفسه، ص VIII.

11- المرجع نفسه، ص ص 855 - 856 .

12- المرجع نفسه، ص ص 8 - 9.

13- المرجع نفسه، ص 15.

14- المرجع نفسه، ص ص 16 - 17.

15- المرجع نفسه، ص ص 1855 - 1856.

16- المرجع نفسه، ص ص 1988.

17- المرجع نفسه، ص ص 2020 - 2021.

18- المرجع نفسه، ص ص 1857 - 1858.

19- المرجع نفسه، ص ص 1886 - 1888.

20- المرجع نفسه، ص X .

21- من ذلك أن العنصر الثاني كما سترى يشتمل على عنصرين فرعيين هما التأصيل المعجمي والتأريخ، والعنصر الخامس يشتمل على عنصرين أيضا هما "المرادفات" و"الأضداد" وهما علاقتان دلاليتان مختلفتان؛ والعنصر السادس يشتمل على عنصرين كذلك هما المعلومات المتعلقة بالرسم والمعلومات المتعلقة بالمظهر النحوي.

والملاحظ أنه لا يوجد اتفاق حول عدد العناصر المكونة لبنية النص القاموسي. فهي مثلا ثمانية عند جان وكلود دوبوا في كتابهما "مقدمة للقاموسية"، وهي (1) المدْخل (Mot ou adresse)؛ (2) النطق (Prononciation)؛ (3) المَقْوَلة النحْوية (Catégorisation grammaticale)، ويقصدان ذكر المقولة المعجمية التي ينتمي إليها المدخل، أو "قسم الكلام" (Partie du discours) حسب العبارة التقليدية؛ (4) التأصيل (Etymologie)؛ (5) التعريف وهو "الشرح" (Définition)؛ (6) الأمثلة (Les exemples)؛ (7) العبارات الاصطلاحية والمسكوكة (Les idiotismes et expressions stéréotypées)؛ (8) المعاني الوظيفية (Les sens fonctionnels).

- ينظر :

Jean et Claude Dubois, 1977. Introduction à la lexicographie: le dictionnaire. op. cit. pp. 39 - 41;

وقد بلغت العناصر المكونة لبنية النص القاموسي عند إبراهيم بن مراد ثلاثة عشر عنصرا قد استخلصها من النظر في ثلاثة قواميس : عربي وفرنسي وإنغليزي - ينظر له بحثه "من إشكالات التعريف في القاموس الحديث : تعريف أسماء المواليد في القاموس اللغوي العام" في إبراهيم ابن مراد، من المعجم إلى القاموس، تونس : دار الغرب الإسلامي، 2010، (ص ص 158 - 182)، ص ص 168 ـ 169.

مراجع البحث

أ- باللغة العربية

- ابن مراد، إبراهيم، من المعجم إلى القاموس، تونس : دار الغرب الإسلامي، 2010.
- بعلبكي، رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، بيروت : دار العلم للملايين، 1990.
- هيبة، سميرة، الاشتراك اللفظي والاشتراك الدلالي بين المقاربة الزمانية والمقاربة الآنية في علم الدلالة وفي التأليف القاموسي، بحث مقدم في ندوة «الدلالة» بكلية الآداب بمنوبة، نوفمبر 2010 (بصدد النشر).

ب- باللغة الأجنبية

- Dubois, Jean et Claude, 1971. Introduction à la lexicographie: le dictionnaire. Paris: Librairie Larousse.
- Lexis: Larousse de la langue française. Sous la direction de Jean Dubois. Paris: Librairie Larousse. 1979.
- Picoche, Jacqueline, 1977. Précis de lexicologie française. Paris: éd. F. Nathan.